

س: باع رجل لابنته الوحيدة في مرض الموت معظم ما يملكه بموافقة باقي الورثة . هل هذا البيع ينفذ أم لا ؟ وهل يأنم الوالد على ذلك أم لا ؟ وما حكم الدين في قيام أحد أعمامها باغتصاب هذه الأرض ومنع إعطائها لها ؟

ج : نقول وبالله التوفيق ..

لقد فرض الله الفرائض ، وقسم المواريث بقسمته العادلة لهذا كان المريض مرض الموت ممنوعاً عند الضرر، ذلك كل تصرف يؤدي إلى الإضرار بالدائنين أو بالورثة كل فيما له من حق ولقد قرر الفقهاء أن حق الورثة والدائنين يتعلق بأموال المريض مرض الموت ، الدائنون ليستوفوا ديونهم والورثة ليسلم لهم حقهم في الثلثين ، ولكيلا يؤثر أحد الورثة على غيره بأكثر مما أعطاه الله .

هذا وعبرة المريض مرض الموت^١ صالحة لكل العقود والتصرفات في حالة إجازة صاحب الشأن لأنه عاقل رشيد كل الرشد ما دام خاليا من العته والسفه فله أهلية أداء كاملة وكان مقتضى هذا ألا يحجر عليه في أي تصرف بتصرفه وألا يتوقف أي عقد من عقوده على إجازة غيره . ولكن مرض الموت يؤدي إلى الموت وينتهي به فكان مرض الموت امتدادا للموت ومن هنا كان حق الغرماء والورثة متعلقا بالتركة من وقت حدوث المرض لأن الحقوق تضاف إلى أسبابها ، بيان ذلك أن الموت إذا اتصل بالمرض صار المرض موصوفا بأنه مميت . فقد روى أن أبا بكر - رضي الله عنه - قال لعائشة ابنته وأم المؤمنين وهو في مرض موته : لقد كنت نحلتك جاد عشرين وسقا من مالي بالعالية وإنك لم تكوني حزته ولا قبضة وإنما هو اليوم مال الورثة . وقد أجمع الصحابة والفقهاء من بعدهم على أن الوصية أو تبرع المريض مرض الموت لا ينفذ في أكثر من الثلث في حق الأجانب وتبرعه للوارث لا ينفذ في شئ إلا بإجازة الورثة^٢

ولما كان الأخوة كما وارد في السؤال هم الذين طلبوا ذلك الأمر من أخيهم فهو دليل على إجازتهم لتصرف أخيهم بالبيع لابنته وبخاصة أن هناك قرينة تؤكد إجازتهم لهذا التصرف وهو توقيعهم على عقد البيع فيكون صحيحا نافذا ولا يأنم والدك في هذه الحالة لأن باقي الورثة هم الذين طلبوا ذلك منه ووافقوه عليه . أما عمك الذي أخذ هذه الأرض ولا يريد أن يعطيها لك فهو أثم معتصب لحقك إلا أن يكون رافضا لتصرف والدك بالبيع لك منذ البداية هو وأخوته ففي هذه الحالة ترد جميع التركة وتقسم على الورثة كل وفق نصيبه المقرر شرعا ، فيكون لك نصف ما ترك والدك وباقي التركة للورثة.

^١ : مرض الموت : هو المرض الذي لا يرجى شفاؤه ويتصل بالموت مباشرة .
^٢ : بدائع الصنائع ٣/٢٢٠